الكلام فى حب المال و الجاه

[٢]

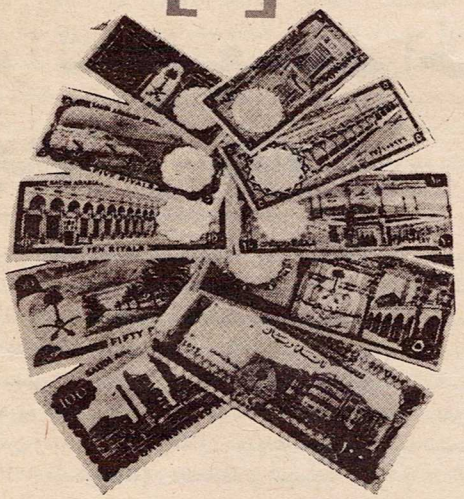

نواصل فى هذا العدد نشر القسم الثانى من محاضرة فضيلة الشيخ سليمان المدنى حول الكلام فى حب المال والجاه، وقد بين فضيلته فى القسم الاول من المحاضرة ان لحب المال وحب الجاه سببين، الاول هو رغبة الانسان فى القدرة على تحصيل شهواته وملذاته وما يحتاج اليه وهو السبب الظاهرى، والثانى وهو السبب الخفي هو الرغبة فى طلب الكمال والإشمئزاز من النقص .. فالانسان ربانى فى الاصل يحب الكمال .. وبيّن فضيلة الشيخ سليمان ان الكمال نوعان الاول حقيقى والثانى وهمى . وان معظم الناس لا يمكنهم ادراك الكمال الحقيقى . وذكر فضيلة المحاضر الفرق بين الكمال والقدرة، وبيّن ان طالب المال والجاه انما يضطر لمراءاة الناس ومصانعتهم من اجل انتشار صيته ..

وفى القسم الثانى من المحاضرة يواصل فضيلته الحديث فى نفس الموضوع مبيناً ان الكمال الحقيقى له ركنان هما العلم والحرية، العلم بالله وصفاته ومخلوقاته وحرية الانسان بان لا يكون عبداً لغير الله .

الانسان مثلما يحتاج الى المال لاقامة حياته فانه يحتاج الى الحد الأدنى من الجاه لتحقيق ما يحتاجه وطلب المال والجاه بالقدر الادنى ليس حراماً .

● يقول فضيلة الشيخ سليمان المدنى :

ان الانسان لو فكر بأن هذا الجاه الذى يطلبه كم مدة استدامته ؟

لو فرضنا انه تمكن ان ينافس كل الُحّساد وكل طالبى الجاه الاخرين ويُفْشل جميع جهودهم فى صرف القلوب عنه، لان طالب الجاه يبتلى بحساد اكثر من طالبى المال ويبتلي بمنافسين أشد شراسة وقسوة وأقدر حيلة من طالبى المال . لان اولئك مثله، إنما يسترقون القلوب ويدفعون ألسن القلوب المسترقة عندهم للكلام فيمن ينافس من يعتقدون فيه الكمال ، لو فرضنا ان هذا الانسان تغلب ايضاً على كل منافسيه فى طلب الجاه ، فكم يظن ان هذا يستديم له ؟ لنقل مدة حياته .. اذا لم تحصل ظروف طارئة تغير افكار الناس وتبدل نظراتهم الى الحياة يعجز هو عن ان يجاريها فى تبديل مسلكه دفعة واحدة ، لو فرضنا ذلك لما استدام له اكثر من مدة عمر الانسان ثم يعود الى ندامة شديدة الى ابد الأبدين ..

على ان الكمال الحقيقى ليس سوى شيئين وهما العلم والحرية العلم بالله وصفاته ومخلوقاته، والحرية، ومقام تفصيل هاتين الكلمتين ليس فى هذا المقام، ولكن ايجازاً نقول ان المقصود بالحرية التحرر من الشهوات لان طالب الجاه، عبد لشهوته وطالب المال عبد لشهوته وكل ذى شهوة عارمة تسيطر عليه فهو عبد لها وهو مسخّر لها فى ارضائها واشباعها واستعمالها والادمان عليها، ومن اجل ذلك يطلب المال ويطلب الجاه حتى يحققها دائماً وابداً ، فهو عبد .. الكمال الحقيقى ليس الا العلم والحرية ، وتفصيل هذين المطلبين ليس من شأن علم الاخلاق انما من شأن علم العقائد ، هذا الكمال الوهمى لو استدام لما استدام اكثر من عمر الانسان ثم يرّد الانسان الى ربه لا جاه له ولا مال له .. يقول سبحانه وتعالى: (والباقيات الصالحات خير عند ربك وابقى) ويقول سبحانه: (بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وكثير من الآيات تتناول ذلك، لان ما يكون هشيماً تذروه الرياح كما فى قوله تعالى (مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيماً تذروه الرياح) . ما تذريه ريح الموت فهو من زهرة الحياة الدنيا وما لا تذريه ريح الموت فهو من الصالحات الباقيات، فهل يفكر مثلاً ان صيته وشهرته وجاهه فى نفوس الناس هل هى مما يبقى معه وينتقل معه بعد الموت ؟ طبعاً لا .. يومئذ لا يوجد صيت ولا يوجد جاه الا لأولئك الذين اتقوا الله واطاعوه والذين ورد فيهم قوله صلى الله عليه واله وسلم (رُبّ ذي قبرين لو سأل الله لأعطاه) ومثل الذين قال فيهم (ص) (ان المؤمن ليشفع فى يوم القيامة فى مثل ربيعة ومضرّ) فالجاه الحقيقى الذى يبقى والذى يريده هو بدل هذا الجاه الذى يحصل عليه فى سنين معدودة

ثم يزول عنه اذا لم يُغلب عليه فليعمل للجاه الحقيقى الذى ينتج عن طريق العلم والحرية، وعندئذ العلم الحقيقى ما هو الا العلم بالله وصفاته وافعاله ومخلوقاته .. نعم هناك علوم يحتاج اليها الانسان لتحصيل هذا العلم مثل دراسة لغة العرب او دراسة التفسير او دراسة الفقه او

غيرها من سائر العلوم الدينية او الدنيوية هى لتحصيل العلم الحقيقى الذى هو العلم بالله وبصفاته وافعاله ومخلوقاته ..

والركن الثانى للكمال الحقيقى هو حرية الانسان، وان لا يكون عبداً لشيء سوى الله سبحانه وتعالى، لكن وقد وصلنا الى هذه النقطة فلابد من بيان وهو ان الانسان كما يحتاج الى اصل المال لاقامة حياته فان حياة الانسان لا تستقيم الا بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وغير ذلك، وانه يحتاج الى المال فى جميع ذلك فلا يكون طلب المال عليه حراماً، كذلك هو فى الحقيقة فى حاجة الى درجة ولو دنيا من الجاه لأن الانسان لابد له من خادم يخدمه او ورفيق يعينه او سلطان يسوسه فهو لا يستطيع ان يعيش فى مكان منعزل ومنفرداً ليس له زوجة ولا ولد ولا اجير ولا رفيق ولا سلطان، ولا شك ان الانسان يرغب فى ان يكون رفيقه سواء كان زوجة او ولداً او صديقاً، محباً له حتى يعينه فى أموره ويريد ايضاً ان يكون من يستأجره لقضاء حوائجه محباً له حتى يخلص له فى قضائها ويرغب ايضاً فى ان يكون سلطانه مثلاً الذى

المحاضرة الثلاثون

لفضيلة

الشيخ سليمان المدني

الكمال الحقيقى له ركنان العلم بالله وصفاته ومخلوقاته والحرية بان لا يكون الانسان عبداً لغير الله

يسوسه فى السياسة راضياً عنه حتى يأمن الشر سواء شر ذلك السلطان او اشرار الاخرين، فهو بطلبه الجاه بهذا المقدار لا يكون عليه حراماً لانه انما يطلبه كوسيلة ايضاً لتحقيق ما يحتاجه فى هذه الحياة بالقدر الادنى، كما يطلب المال لقوته وملبسه ومشربه وسفره وحله وترحاله ومرضه، كما ان حبه للاكل الذى يأكله ليس حراماً فحبه فى حصول ثمنه الذى يشترى به ايضا ليس حراماً، انما لو ارتكب الحرام من اجل تحصيل المال لا شك انه يعاقب ولو ارتكب الحرام من اجل تحصيل الجاه بهذا القدر الضرورى كما لو كان مثلاً عبد انساناً من دون الله سبحانه وتعالى لتحصيل الجاه او لتحصيل المال لا شك انه ارتكب حراماً ولكنه لا يعد انه ارتكب حراماً اذا اقتصر على الحد الضرورى من دون ارتكاب الحرام فى طلب المال والجاه ..

اذا كان كذلك فأن يقتنع صديقى ورفيقى بي ويحترمني ويحبنى لابد له والا يظهر على عورة من عوراتى او عيب من عيوبى فاذا اخفيت عليه عيوبى هل اكون قد دلّست عليه ؟ نقول لا، اخفاء العيب لا يسمى تدليساً ولكن لو إدّعى الورع وهو ليس بورع فقد دلّس .. أما ان يخفي عيباً فيه فغاية ما هنالك انه ازال سبب العلم بشيء لا فائدة لمن يعلمه به فلا يكون قد ارتكب محرّماً فى اخفاء عيوبه، بل ان الامر فى الشريعة الاسلامية انه لا ينبغى للمؤمن هتك عيوبه امام الناس، لا ينبغى له ان يرفع ستر الله الذى ارخاه عليه . وهناك حكاية رجل اسمه (ماعز) في عهد النبي (ص) وهو رجل من المدينة، هذا الرجل زنى .فذهب الى صديق من اصدقائه واخبره بانه ارتكب هذه الجريمة، فتبين ان هذا الصديق يبطن عداوة لماعز ولا يحبه فاخافه وقال ويلك .. اسرع الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واخبره والا نزل فيك قرآن وبقى يُتْلى الى يوم القيامة . وكأنما القرآن ينزل فى اي شخص وكل شخص ارتكب جريمة .. فذهب الى النبى صلى الله عليه واله وسلم وقال يارسول الله لقد زنيت . فقال لعلك نظرتها بشهوة ؟ قال لا لقد زنيت قال لعلك قبّلتها ؟ قال لا لقد زنيت . ومازال النبى صلى الله عليه واله وسلم يدفعه ويريد منه ان يتراجع وهو يصّر حتى فصّل الفعل الذى ارتكبه فامر النبى صلى الله عليه واله وسلم برجمه فحفروا له حفرة وانزلوه فيها واخذوا يرجمونه فلما أحس بحرارة الحجارة انفلت من الحفرة هارباً ولكنهم اسرعوا خلفه واعادوه فى الحفرة ورجموه دفنوه

ومات فاخبروا النبى (ص) فقال ألا تركتموه وقد هرب.. والله لو تاب بينه وبين ربه لكان افضل له عند الله من ان يأتي مستغفرا فان الله سبحانه وتعالى وصف نفسه بانه الستّار، ستار العيوب .

فاذن لا ينبغى للمسلم ايضاً ان يرفع ستر الله الذى أرخاه على نفسه بل ان كشفه للستر عن نفسه يؤدى الى تفسيقه اخفاء العيب واخفاء الذنب ليس تدليساً التدليس ان يدعى الورع وليس بورع ، ان يدعى التقوى وليس بمتّق، واما ان يخفى عيوبه او يخفى آثامه فلا يسمى ذلك تدلسياً على الناس ولا يعد ذلك من الامور المحرمة ان يخفى الانسان عيوبه، بل هو مأمور شرعاً بان يخفى عيوبه ويخفى اثامه، بل ان المسلم ايضاً مأمور فيما اذا عثر على عورة من عورات اخيه ان يكتمها ولا يبديها ولا يخبر بها ولا يحّل له ان يغتابه بناء على ما اطلع عليه من عوراته حتى يكشف هو ستر الله الذى أرخاه عليه فعندئذ يُستحّل غيبته .. واما لو ان مؤمنا من المؤمنين عثر على مؤمن اخر قد ارتكب جريمة ولذلك قال علي عليه السلام وقد جاءه رجل وقال له ياأمير المؤمنين لقد مررت على فلان وفلانة يزنيان فاخذه امير المؤمنين (ع) وجلده ثمانين جلدة . وقال له (أما انا لو مررت عليهما لألقيت عليهما ردائى وانصرفت ..)

والمقصود بالقيت عليهما ردائى أي يستر عليهما لان هذا هو واجب المسلم تجاه اخيه المسلم لا ان يكشف ستره ويهتكه .. فاذن الانسان من باب اولى أنه لا لا يجوز له ان يكشف ستر نفسه، ولا يسمى ذلك تدليساً ..

● الخلاصة ان طلب المال وطلب الجاه بالحد الادنى الذى يحتاج اليه الانسان فى استقامة حياته ليس محرماً وكذلك حتى لو رأيناه يطلب المال الزائد على حاجته او الجاه الذى يزيد على ما يحتاج اليه فى حياته لا نقول انه ارتكب محرماً من هذه الجهة حتى يرتكب محرماً فى تحصيله كما لو انه ترك ما يجب عليه شرعاً من اجل ارضاء الناس مثلا او افتى بتحليل ما حرم الله من اجل ارضاء زيد او عمرو من الناس اذا كان عالما مثلاً ، لان اغلب ما يبتلى بطلب الجاه الحكام والعلماء هذا نقول انه ارتكب محَرماً اما مجرد انه طلب وسعى دون ان يرتكب محَرماً فلا نقول انه ارتكب محرَماً، وكذلك التجار وغيرهم ممن يُنْظر اليهم انهم من طالبى المال لا نقول ان فلانا منهم ارتكب المحرم بمجَرد طلبه للمال، ولكن اذا ارتكب المحرم فى تحصيله للمال نعم يكون قد أثم بذلك وان كان ينبغى للانسان الا يشغل نفسه عن التفكير فى الله سبحانه وتعالى وفى صفاته وفى مخلوقاته بان يبذل هذه الاوقات الثمينة ويصرف عمره فى طلب مال لا يحتاج اليه او جاه لا يحتاج اليه .

لا ينبغى للمسلم ان يرفع ستر الله الذى ارخاه عليه ولا ينبغى له ان يكشف عورات ومحرمات الاخرين ويغتابهم